

## هوغو ستنس

(٢)

لشرنا في مقتطف بناو خلاصة الحديث الذي دار بين الكاتب الاميركي اسحق ماركوسن وبين هوغو ستنس المثيري الالمانى المشهور. وقد رأينا ان تلخص ما ذكره هذا الكاتب من سيرة ستنس وكيف ارتقى من تاجر غم حامل الذكر الى ان صارت له السيطرة الكبرى على معامل الالمان

لم ينشأ ستنس كاتباً بسيطاً في بيت تجاري ولا عاملاً صغيراً كما نشأ كثيرون من اصحاب الملايين في اميركا بل ورت من ابيه وجده ما كان يعد في عصرها ثروة ولو لم يُحسب شيئاً الآن. فان جده متياس ستنس توفي سنة ١٨٥٥ وكان من كبار رجال الاعمال في عصره كان يملك مناجم غم في وادي الورد (Ruhr) وهو اول من اجرى السخن البخارية في نهر الرين لنقل الفحم من مناجمه. وفي تلك الرقعة نشأ كل رؤساء الاعمال من الالمان وكان متياس ستنس واحداً منهم وكلهم اهل جده ونشاط لاهم لهم غير السمي والكديح بعينين عن رفاهة العيش ومنهم انطس تين (Thyssen) وهو الآن في الثمانين من عمره ولا يزال دتياً على العمل ورئيساً لاعظم المعامل في المانيا بعد معامل ستنس تراه يسير اليها كل يوم الساعة الثامنة صباحاً بياراً من سيارات الشوارع مع اصغر العمال كنفياً لكثف

ومن الغريب في امر هؤلاء الرؤساء ان اولادهم واولاد اولادهم حذوا حذوهم كما يظهر من امر هوغو ستنس فان جده كان يعد جياراً في عصره لانه بنى اكثر سنن النقل في نهر الرين. وكان له ثلاثة اولاد وكلهم ساروا في خطته وزادوا في ثروتهم. وهوغو ابن الولد الثالث وقد زاد ثروة العائلة فوق كل ما كان يحلم به جده

ولد هوغو هذا سنة ١٨٧٠ فلا يزال صكلاً ودرس في مدرسة عالية وكان غرض ابيه ان يبقى مواظباً على العمل الذي انشأه جده ابي استخراج الفحم الحجري ونقله فعمل ودخل المناجم عاملاً بسيطاً واقتلع الفحم بالممول ثم دخل مدرسة المناجم في برلين سنة ١٨٨٦ واقام فيها سنة وطاد الى الشركة التي

انشأها جده وكان لأمه ربعها وهي فرنسية الاصل من المفوضات البروتستانت الذين هاجروا من فرنسا. ولما صار له من العمر ٢٣ سنة انفصل عن الشركة واشتغل وحده ورأس ماله ثلاثة آلاف جنيه لا غير. ومن ثم سار في عمله بخطى الجبارة فبلغ رأس ماله الخاص قبل الحرب مليوناً وربع مليون من الجنيهات اما في زمن الحرب فأتسع نطاق اعماله اتساعاً يفوق الوصف وتضاعفت ثروته أكثر من اربعة اضعاف وبعد امضاء الهدنة صار الرئيس المطلق لادارة الشركات الصناعية ولم يبلغ ما يبلغه الا لانه جرى على خطة معينة اختطها لنفسه ولو خالف بها كبار الاغنياء. فان خطة كارنجي كانت اختيار الرجال الاكفاء والاعتماد عليهم اما ستسن فلا يعتمد على احد في ادارة اعماله بل يديرها بنفسه وبحسب ان هذه الخطة يجب ان يسير فيها ابنه البكر بعده ولذلك يدعو ليحضر كل المذاكرات المهمة التي تستدعيها اشغاله. واذا تمذر عليه حضورها حضرها اخوه التالي مع انه لا يزال في المدرسة الكلية حتى اذا مات ستسن فجأة تولى اولاده اعماله بعده وخطة في ادارة الاعمال الصناعية الواسعة انه يقدم للاموال اللازمة لانشاء العمل ويتولى ادارته الى ان تروح اسسه فيسحب ثمة اعشار المال الذي دفعه ويرسل به عملاً آخر وهم جراً. وعلى هذه الصورة انشأ سلسلة كبيرة من الاعمال ولم يزل يديرها بنفسه. وهو يحسب ان ادارة العمل وانحمارها في شخص واحد من اول شروط النجاح فيه. ولما عرضت في مجلس النواب الألماني مسألة تولي الحكومة للاعمال الصناعية قال مقترضاً على ذلك « اني حينما ريدت الشروع في عمل اسأل هذين السؤالين الاول من ينشئ لي هذا العمل والثاني من هم العمال الاكفاء للسير فيه. فاذا لم اجد الرجل الذي يستطيع انشاءه ولا العمال الذين يستطيعون الجري فيه تركته. فيجب ان تركوا المديرين الاعمال ما انشأوه وما هو خاص بهم »

كان الفحم الحجري الاماس الذي بنى عليه ابوه وجده ثروتها فلما صار عمره ٢٣ سنة رأى انها يكتفيان ببيع الفحم لسابكي الحديد فيكون ربحها منه قليلاً وريح السابكين كثيراً فلم يكتف بما اكتفيا به بل ابتاع كثيراً من مناجم الفحم وصبر حتى كثر ربحه من استخراجها وبيعهم ثم ابتاع اثني عشر منجماً من مناجم الحديد فملك ناميتي الفحم والحديد الذي يسبك به. ولم ترض عليه سنوات كثيرة حتى قبض على زمام هذين المعدنين في وادي الزور فانه صار يدير ستين

منجماً من مناجم الفحم يستخرج منها ثلث ما يستخرج من مناجم ألمانيا كلها .  
ولمأه الرجل الوحيد الذي استطاع ان يصدر الفحم الى انكلترا . وزد على ذلك أنه  
ابتاع كل سفن طائفة ستنس التي تمخر نهر الرين واستقل بها فصار النقل في انهر  
الرين والالب والاوردر في يده وامتدت سفنه الى البحر الشمالي والبحر البلطيك  
والبحر الاسود وبحر الروم والاقياتوس الاثنتيكي

ونشبت الحرب المعظمى وستنس يملك الفحم والحديد والفولاذ ( الصلب )  
وهي عماد الحروب . وكانت ألمانيا تحب النصر حليفاً لها ولم يخارها قريب في  
ذلك فاتفقت بكرم سامي على المواد اللازمة لها واخصها الفولاذ فارتفع ثمنه خفية  
اضعاف . وقلّ الفحم عند الحلفاء وكان كثيراً عند الالمان فحسبوا انه سيكون  
الواسطة الكبرى لتضر خصومهم وباعوا منه لهولندا وسويسرا واسوج والدنمارك  
بأثمان فاحشة . وكان لستنس نصيب وافر من الربح من بيع ما عنده منه ومن تقل  
ما عنده غيره . ورأى فيه الجئرال لودندرف رجلاً بمائته هو في ادارة الحرب  
وستنس في ادارة الصناعة فصار له المقام الاول في ديوان المواد الاولية ببرلين  
واليد الطولى في دفع الناس الى الخدمة العسكرية وفي وضع صناعات البلاد غلجمة  
رجال الحرب . وادار مناجم فرنسا وبلجكا التي استولى عليها الجيش الالماني  
واخذ المال من معامل بلجكا وفرنسا الى معامل ألمانيا لما اقتضت الحرب  
تجنيد عمالها

ولم يخف ما كان يرمي اليه استيلاء ألمانيا على مناجم الفحم البلجيكية ومناجم  
الحديد الفرنسية . وتظهر ثقته بان الفوز يكون لألمانيا من اهتمامه بإنشاء  
ثلاث شركات كبيرة وهي الشركة الصناعية والشركة التجارية والشركة المدنية  
والفرض من هذه الشركات الاستيلاء على كل صناعات البلجيك وقد انشئت سنة  
١٩١٦ حينما كانت الدلائل كلها تدل على ان الفوز سيكون للالمان لكن هذه  
الشركات بقيت حياً على ورق فلم يتم امرها بل زالت كما زالت سائر اماني الالمان  
وبدحتها نيران نوفمبر سنة ١٩١٩ . أما اعماله اخصوية فلم يعقها الفشل بل  
قويت واتسع نطاقها ابي اتساع . وكان الامبراطور قد قال ان مستقبل ألمانيا على  
الماء فيادر ستنس الى تحقيق ذلك فابتاع بواخر شركة شرق افريقية الألمانية  
سنة ١٩١٦ ثم ابتاع جانباً كبيراً من شركة همبرج اميركا وشركة نورث جرمان

لويد . وسنة ١٩١٧ اشترى محل هدمن الذي كان مالكاً لاصية الملاحة في همبرج منذ سنة ١٨٤٨ وابتاع معه سفناً وارصنة ومخازن كثيرة

وسنة ١٩١٧ انشأ شركة الملاحة والتجارة الاوقيانوسية المسماة باسمه وجاء في رخصتها (بذاتها) لها تستطيع ان تبني السفن وتعملها وتضع المركبات وتنشئ المعامل وتشتغل بكل عمل صناعي او تجاري . فلاحد للاعمال التي يحق لها ان تتعاطاها . ويدير هذه الشركة الآن ابنه الاكبر ومقره في همبرج

وفي اوائل سنة ١٩١٨ اشترك في شركة البترول الالمانية الاميركية وابتاع بعض فنادق همبرج ويوتا تجارية في كوتسبرج وبرمرش ثم ابتاع شركة الملاحة في البلطيك وشرع في بناء اثني عشرة باخرة كبيرة من البواخر التي تسافر في الاوقيانوس حتى اذا وضعت الحرب اوزارها يستطيع ان ينقل بضائع معامله في سفنه غير حاسب حساب الانكسار . ولهذا الغاية اشترى حراجاً فيحة في المانيا لكي يأخذ الخشب منها لبناء سفنه ومعامله فاقطاً في حسابه على غير عادته

لكن فشل المانيا في الحرب لم يفت في عطسه ولا اضعت عزيمته بل تراءفد جنى الفوز من الفشل فصار صديقاً للجمهورية كما كان صديقاً للامبراطورية وشارك العمال في كسبه من كل اعماله كاحد زعماء الديمقراطية

وابتاع الجريدة التي تعد نصف رسمية (دش الجن زيتونج) ثم ابتاع جرائد اخرى ولما رأى ان ربحها قليل او ان لا يربح منها بحث عن السبب فوجده غلاء الورق فابتاع بعض معامل الورق ومعامل الرطب الذي يصنع الورق منه والحراج التي يستخرج الرطب من خشها . ثم ابتاع شركة التلغراف التي تجلب الاخبار التلغرافية واعظم بيوت طبع الكتب ونشرها . فاستولى على كل وسائل النشر من الحراج التي يصنع الورق من خشها الى مطابع طبع الكتب والجرائد . وجرى في ادارة الكتب والجرائد كما جرى في ادارة مناجم الفحم والمعادن . ولو اردنا ذكر كل معامله والاعمال التي في ادارته لملأ ذلك صفحات كثيرة فان مناهركبات الشوارع ومعامل الاتوموبيل ودور صنعة السفن ومعامل الاصباغ والغاز والمواد الكيماوية وآبار البترول ومسايد الاسماك وسفن النقل وغير ذلك مما يطول شرحه . وله مصالح كبيرة جداً في انما واسوج والدنمارك واطاليا واسبانيا وبرانزيل وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة

ولما حضر مؤتمر سباع الوفد الألماني الكبير في مسألة الفحم الحجري عرفه الناس كما هو فانه لما قرأ تقريره عن الفحم وصف دول الحلفاء ولاسيا فرنسا بانها معابة بداء الفتح فاشهره رئيس المؤتمر اما هو فنظر اليه وقال « اني لم ات الى هنا لاجل المجاملة »

ورب قائل يقول كيف يدبر انسان واحد هذه الاعمال كلها . والجواب انه لو كان رجلاً عادياً لاستحال عليه ان يدبرها اما وهو رجل غير عادي فقد تمكن من ادارتها بتقسيم هذه الادارة الى فروع مثل دواوين الحكومة . فمئدة فرع للامور المالية مختص باستعمال المال والقروض والرهون . ودفاتر هذا الفرع محفوظة بالدقة التامة فيستطيع ان يقف على رصيد امواله في كل يوم . وعنده فرع تشحن وفرع للفحم وفرع للعامل وفرع للجراند وفرع للتجارة الخ . ولكل فرع رئيس مسؤول عنه لديه . ويوم يجي برلين يجتمع هؤلاء الرؤساء ويقف منهم على احوال اعماله كلها . ومركز ادارته الاكبر في ملهم Malheim مقر مائته الاول وله ادارات واسعة في برلين وهمبرج . ومركز الادارة الكبرى في دماغه

ومن المحتمل انه لا يزال ملكياً لان حب السلطة مغروس في فطرته ولذلك سمى ثلاثاً من البواخر التي بناها تمسخر في الاوقيانوس باسم ثلاثة من اركان الامبراطورية وهم هندنبرج وترينر ولوردنبرف وكل واحد من هؤلاء ازل الباخرة المسماة باسمه وقت ازالتها الى البحر . ولكن لا يستنتج من ذلك انه من انقائين يارجاع الامبراطور السابق واولاده لانه احكم من ان ينصريتاً قضي عليه وخلاصة المقال انه رجل صلي من اهل العمل لا من اهل النظر . لما ابتاع قصر ويسكلم قال الذين يجهلون انه سيرك العمل وينقطع الى الراحة ويجعل قصره مساة للاصدقاء والعطاء ثم ظهر انه ابتاع ذلك القصر لان في الاراضي التابعة له مناجم غنية

ولا يعلم الآن كم ثروته ولكن الاجماع على انه اغنى رجل في المانيا . وقد مثل مرة لماذا تنصب بعد ان سارك هذا المقدار من الملايين : فقال « اني اتمب لاولادي » . هذه النعمة للاولاد من الثرائز الراسخة في البشر وفي كل الاحياء